أهمية التعبير الشفهي و تقنيات تدريسه

كبير نصيرة
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة سيدي بلعباس- الجزائر

تعتمد الأمم عبر مر الأزمنة والعصور على لغات تعبر بها عن واقعها المعيش بكل حرية وطلاقة، وعما يصادفها من مواقف مختلفة في حياتها اليومية، ويتضح أن هذا إنما يتم عن طريق التعبير إما شفهيا وإما كتابيا.

ولما كان التعبير الشفهي أسبق من التعبير الكتابي، فإن ما يلاحظ هو أنه يتوجب على أفراد المجتمع الواحد استعمال التعبير الشفهي كوسيلة للتعبير عما يختلج بكيانهم، وما يجول بخواطرهم، وما يدور بأذهانهم من أحاسيس ومشاعر وأفكار وغيرها، وعليه فما المقصود بالتعبير الشفهي؟ وأين تكمن أهميته؟ وما هي التقنيات المعتمدة لإنجاح تدريسه؟

1. ماهية التعبير الشفهي: طرح العديد من الباحثين والدارسين مسألة التعبير الشفهي متناولين مفهومه بوجهات نظر متفاوتة نوعا ما يمكن رصدها كالآتي:

التعبير لغة: عبر الرؤيا تعبيرا. لقوله تعالى:" إن كنتم للرؤيا تعبرون"[1] وعبّر عبارة فسرها وأخبر بما يتوصل إليه. وأستعبره إياه أي سأله تعبيرها. ويقال عبّر عما في نفسه أي أغرب مما يجول بخاطره وبينه. والاسم العبرة والعبارة. وعبّر عن فلان أي تكلم وتحدث عنه. واللسان يعبّر عما في الضمير من الكلام[2]

أما **اصطلاحا** فقد أعطاه الكثير من الدارسين عدة تعريفات لا تكاد تخرج عن بعضها البعض، فقد عرفه ابراهيم عبد العليم بأنه:"أداة اتصال سريع بين الفرد وغيره من الأفراد والنجاح يحقق كثيرا من الأغراض الحيوية في الميادين المختلفة".[3]

ويرى مجاور محمد صالح بأنه يقصد به:" ذلك الكلام المنطوق الذي يعبر به المتكلم عما في نفسه من هاجس أو خاطرة، وما يجول بخاطره من مشاعر وأحاسيس، وما يزخر به عقله من رأي أو فكر وما يريد أن يزود به غيره من معلومات، أو نحو ذلك في طلاقة وانسياب مع صحة في التعبير وسلامة في الأداء".[4]

كما قد عرفه معروف نايف على أنه:"الإبانة والإفصاح عما يجول في خاطر الانسان من أفكار ومشاعر بحيث يفهمه الآخرون".[5]

في حين يرى يونس فتحي علي بأنه:"يمثل الكلام وهو يسبق التعبير الكتابي وأداته الرئيسية هي النطق، فيتم تلقيه بواسطة الأذن، فهو إفصاح الإنسان بلسانه عن أفكاره ومشاعره".[6]

أما عمر أسعد وفاطمة السعدي فقد عرفاه بأنه "هو نقل الأفكار للناس عن طريق التحدث أو الكتابة".[7]

وقد عرفه أيضا زقوت محمد شحادة بأنه "التعبير الذي يتم عن طريق المشافهة والحديث، حيث ينقل المتكلم آراءه وأفكاره وأحاسيسه ومشاعره إلى الآخرين".[8]

كما نجد أحمد وليد جابر يعرفه على أنه "الطريق التي يصوغ بها الفرد أفكاره وأحاسيسه، وحاجاته وما يطلب إليه صياغته بأسلوب صحيح في الشكل والمضمون".[9]

وهي تعريفات يلاحظ أنها تصب في مفهوم واحد، وهو أن التعبير الشفهي هو أن ينقل الباحث أو الدارس أو الطالب أو أي شخص من عامة أو خاصة الناس ما يدور في ذهنه، وما يختلج بكيانه، وما يجول في حسه إلى الناس الآخرين، وذلك عن طريق المشافهة بواسطة وسيلة تسمى اللغة تسهم بما تتضمنه من انطباعات ترتسم على الوجه ومن ايحاءات واشارات وإيماءات تستعملها اليدين وغيرها من أعضاء الجسم الأخرى.

وعليه يمكن القول أن التعبير عموما هو أن يمتلك المعبر شفاهة القدرة الكافية على نقل ما يختلج به من أفكار، وما يشعر به من أحاسيس تجول بذهنه وصدره، إلى الشخص المتلقي إما مشافهة وإما كتابة، ومن هذا يتضح أن المشافهة أسبق من الكتابة إذ أن التعبير الشفهي يعد بمثابة الأساس الذي يبني عليه التعبير الكتابي، إذ لا يتمثل النجاح في التعبير الكتابي ولا يتم ولا يمكن أن يتوفر إلا إذا توفرت العناية الكافية بالتعبير الشفهي، حيث أن أي شخص كان إذا بدأ الحوار و التواصل مع غيره لابد وأن يكون أولا محادثة شفهية قبل أن يتمرس ويتعلم الكتابة بفترة زمنية معتبرة.[10]

أهمية التعبير الشفهي:

كأي نشاط ممارس له أهميته التي تثبته وتوجده، فللتعبير الشفهي أيضا أهميته التي تعطيه قيمته بين باقي الأنشطة التعليمية، مما يجعل الطالب يمتلك القدرة الكافية لصب قمة ما وصل

إليه ذهنه من تفكير وإحساس في وسطه الذي يعيش فيه، وبه تتوثق أواصر وعلائق التعامل مع مجتمعه الذي ينتمي إليه. ومن هنا يستطيع الطالب التغلب على ما يعيق فكره وتصوره من صعوبات ومشاكل خاصة به (فردية) أو ذات علاقة بمجتمعه (جماعية) وربما ما يسهم في تحقيق ذلك هو تلك الآراء والأفكار التي يمتلكها الطالب بقوة التصور وحدّة ادراكه لواقعه المعيش، ومن ثمة إثارتها داخل وسطه وطرحها ومناقشتها مع الآخرين مما يمكنه من تبادلها واكتساب وتفهم أفكار وآراء جديدة عليه.

ولما كان التعبير الشفهي يمثل الدرس النابع من عمق وصميم الحياة اليومية للطالب مادة ووسيلة.[11] فإنه يعد من أهم الأنشطة اللغوية ذات المكانة المرموقة داخل المجتمع قديمه وحديثه، وداخل العالم شرقه وغربه، حيث أن جودة اللغة وكمالها المتجسدة لدى الطالب تكون الفاعلة والقادرة على تأدية الدور المهم في تواصله مع أبناء مجتمعه، وتبادل مشاعره وأفكاره معهم ونقل ما يجول بخاطره من انفعالات وعواطف وأحاسيس وغيرها، والتي لا يمكن التعبير عنها إلّا مشافهة كتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع الواحد ومنح الحريات الفردية والجماعية لهم بالتساوي. ومن هنا يمكننا أن نعد التعبير الشفهي العنصر الأساسي الذي لابد من توفره لدى المعبّر الشفهي في تواصله مع غيره، والجزء ذا الأهمية القصوى في ممارسة نشاطه اللغوي، واستعماله للحوار والجدال والنقاش مع الآخرين.[12]

ثم إن الهدف من وراء تعلم أي لغة في العالم كله، هي امتلاك متعلميها القدرة الفاعلة على ابلاغهم غاياتهم، بتعابير مركبة صحيحة سليمة متقنة مشافهة، وحية بعيدة عن كل غموض يشوب اللفظ والمعنى معا أثناء ممارستها، ومن ثمة ترجمتهم لمشاعرهم وأفكارهم وخواطرهم وخبراتهم وحتى تجاربهم الاجتماعية عبر مختلف مراحل حياتهم وأعمارهم، لا يكون إلّا عن طريق تلك اللغة المكتسبة إما شفاهة وإما تدوينا.[13]

ولما كان التعبير الشفهي الأساس الذي يرتكز عليه الطالب في افصاحه عمّا يختلجه من خواطر وانفعالات؛ فإننا يمكن أن نعده بمثابة الأسلوب الحواري الناجح بين مختلف أبناء البيئة الواحدة، حيث أن جودته والتفنن في إتقانه يمكنها أن تتوقف على عناصر أساسية كمرتكزات للمشافهة، كتبادر الأفكار والمعاني . مثلا مرتبة منطقيا في الذهن، ثم تسلسل اللفظ وفق المعنى المناسب له والدال عليه، مما يمكن اللسان من النطق به بطلاقة وسلامة في التركيب.

ومن خلال هذه الأهمية التي تمنح للتعبير الشفهي مكانة ومنزلة بين مختلف الأنشطة اللغوية، كونها ضرورة حتمية لا يمكن لأي شخص كان الاستغناء عنها في مختلف مراحل حياته، فإننا نرى أنه يمكن لهذه الأهمية أن تحقق المطالب الآتية: [14]

. تهيئة الطالب واكسابه سرعة في التفكير، وقدرته على كشف الأخطاء اللغوية، ومواجهة المواقف الكلامية الطارئة ومساعدته في الخروج منها بنجاح. وهذا كله يتم تماشيا مع ما يملكه من شجاعة تمكنه من الارتجال مع مختلف المواقف المحتاجة إلى حلها مشافهة.

. ممارسة التعبير الشفهي للتواصل بين أفراد المجتمع لها أهمية كبرى في الكشف عما يملكه هؤلاء الأفراد من مواهب، تمكنهم من بلوغ أرفع درجات المحادثة والحوار في نشاطهم اللغوي الانساني الفعال.

. يمثل التعبير الشفهي الأداة الفعالة والأساسية في العملية التعيلمية التعلمية (المشافهة أساس المناقشة بين المعلم والمعلم).

. نجاح المناقشة الشفاهية في العملية التعليمية التعلمية يخرج المتعلم من التقوقع والانطواء على نفسه، ويغلبه على المعاناة من اللكننة والتأتأة، وعلى خوفه من الإخفاق في ممارسة نشاطه اللغوي الشفهي.

. بعد تمكن المتعلم من الابتعاد عن المعوقات الشفهية من خوف وتأتأة، تصبح له القدرة الكافية على قيادة وتوجيه حواره ومحادثته الشفاهية. ومن هنا التغلب على ما يعيقه من مواقف كلامية تجعله يدرك بأنه قادر على اثبات كيانه الاجتماعي ووجوده الذاتي، وهذا بعد شعوره بامتلاكه حريته الفردية واستقلاله الاجتماعي.

غير أنه ورغم أن للتعبير الشفهي أهمية كبرى ترفع المتعلم إلى أقصى درجات المشافهة، وأنه يمثل الهدف الأسمى للأنشطة اللغوية الأدبية لدى مختلف المجتمعات مهما كانت نوعية اللغة الممارسة بين أفرادها، إلّا أن ما يمكن أن نلمسه ونلاحظه هو ذلك الضعف المتواجد عموما لدى مختلف المتعلمين أثناء ممارستهم لنشاط التعبير الشفهي اللغوي، والذي أصبح يشوبه في مختلف المراحل التعليمة الثلاث الأولى، وحتى المرحلة الجامعية إن صح القول[15] وإن كان هذا حقيقة غير قابلة للنقاش.

تقنياته (طرائق تدريس التعبير الشفهي):

لكل نشاط لغوي أدبي مهما كان نوعه تقنيات لإنجاح تدريسه، وللتعبير الشفهي بطبيعة الحال تقنيات لابد وأن تتوفر لإنجاحه كنشاط شفهي يعتمد على الحوار والمحادثة، والتواصل المباشر بين المدرسين والدارسين تحديدا، ومن بين هذه التقنيات نرصد ما يلي:

. قبل الخوض في نشاط التعبير الشفهي لابد من مراعاة توافق الموضوع مع رغبات وميولات المتعلمين، مما يبرز ما للموضوع المختار من أهمية لديهم، وهو ما يشعرهم بالسعادة والمرح لاختيارهم له، ويبعدهم عن النفور والضجر منه. وهذا يوجب على المعلم أن يسير وفق الخطوات الآتية: (16)

لابد من التشاور حول عنوان الموضوع المختار من طرف المعلم والمتعلم، للوصول إلى عنوان واضح محدد، يتناسب والموضوع الذي تم اختياره من قبل.

وضع خطة مضبوطة محددة العناصر وواضحة المرامي والأهداف، مفصلة متسلسلة تتضمن مقدمة تعتمد عنصر التشويق ملفتة الانتباه، وعرض لصلب الموضوع ملمّ بكل جوانبه مع شرح مفصل لما يحتويه من أفكار تعتمد الجمل السليمة، والأسلوب المناسب والألفاظ الفصحى.

اعتماد المتعلم على الشواهد كالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار والحكم والأمثال الفصحى وغيرها.

وهذا كله إنما يتم مشافهة مع تدوين بعض العناصر الأساسية إن اقتضت الضرورة، إضافة إلى استعمال لغة الاشارة كالتعبير بالجسم والوجه والعينين، والتنويع في نبرة الصوت وتغييرها من حين لآخر.

لابد من مراعاة الأهداف الأساسية والمحددة للتعبير الشفهي، مع ربطها ارتباطا حتميا بواقعه أثناء تلقينه للمتعلمين، حيث يتوجب على المعلمين الحديث عن واقع المعلمين وما يمرون به من مغامرات يومية، تسمح لهم بتفعيل النشاط الحواري مشافهة، وذلك ما يسهم بكسر حاجز الخوف والارتباك والخجل لديهم. وهذا كله إنما يتم عن طريق القيام بحلقة دائرية تواصلية شفاهية فيما بينهم، ومن هنا يكونون قادرين على تنمية الجرأة الأدبية الشفاهية لديهم.

توفير الوسائل التعليمية الواجب استعمالها أثناء ممارسة التعبير الشفهي، ومنها مثلا: ايجاد منهج محدد يسمح بإنجاح نشاط التعبير مشافهة، واعتماد معيار الموضوعية للقيام بتقويم نشاط التعبير

الشفهي لدى المتعلمين، وربما هذا ما يدفعهم إلى الإقبال على ممارسته، كما يتوجب امتلاك المتعلمين للكفاءة أثناء تلقيهم للمتعلمين النشاط الشفهي، مما يمكنهم من التحكم فيه وتفعيله كنشاط ساري بينهم.

إضافة إلى هذه الوسائل لابد من توفر المكتبات الدراسية على زخم متنوع من الموضوعات المختارة من قبل الدارسين، والتي يكونون قد اطلعوا عليها مسبقا، وطالعوها بتروي، مما يمكنهم من اكتساب القدرات اللغوية واللفظية، لاستعمالها للحوار والمحادثة أثناء ممارستهم نشاطهم الشفهي.

والواضح من كل ما سبق أن المتلقي إذا أراد أن يكتسب مهارة وقدرة كلامية على الحديث الشفهي، لابد وأن تتوفر فيه مقومات أساسية يرتكز عليها أثناء ممارسته للنشاط الشفهي، يمكننا أن نذكر منها مايلي: (17)

. عرض صور تستدعي الإثارة، وذات علاقة بالتعبير الشفهي على المتعلمين، ومن ثم دفعهم للتعبير عما تحتويه بطلاقة وحرية، و الإجابة عن التساؤلات التي تدور في مخيلاتهم اتجاهها.

. قيام المعلم بإلقاء قصص مشافهة على مسامع المتعلمين، ثم تكليفهم بعد ذلك بتلخيصها، وإن أمكن محاكاتهم لها بكل عفوية وطلاقة واسترسال.

– الحديث مشافهة بين المعلم والمتعلم عما هو معروف من مناسبات دينية ووطنية، يفتح باب الحوار والنقاش الحرّ فيما بينهم. وهذا باعتماد اسلوب التساؤل المتدرج من الأسهل إلى السهل ثم إلى الصعب ومنه إلى الأصعب، وذلك ما يسهم في الانتقال من المفرد إلى الجمل المركبة تركيبا منطقيا سليما.

والملاحظ أن توفر هذه المقومات لدى المتلقين؛ إنما قوامه الأساسي هو تعويدهم على حسن الإصغاء، وقدرتهم على امتلاكها كحاسة أساسية تدعم ممارستهم لنشاطهم اللغوي الشفهي. وربما هو ما يهيئ جوّ الاستمتاع بالحديث بين المتعلم والمعلم، والتشوق لفهمه وفهم المقصود من ورائه، ويفتح باب الحوار بينهم باعتماد عنصري السؤال والجواب، ومن ثمة الانتقال من النشاط اللامنهجي إلى النشاط المنهجي المحكم.

والواضح أن ما يتراءى من خلال ما تقدم أن التعبير الشفهي نشاط لغوي يقوم المعبّر من خلاله بترجمة ما يجول بخاطره من أحاسيس ومشاعر، وبالتعبير عمّا يدور بذهنه من أفكار ومعاني، ومن ثمة نقلها بعد ذلك إلى أبناء بيئته الاجتماعية مشافهة.

كما أن أهميته تكمن في: أنه يمثل الأساس الذي يبني عليه التعبير الكتابي، كما أنه كونه القالب الذي يصب فيه المتعلم أغلى ما لديه من أفكار ومعاني، وعبارات ومشاعر وأحاسيس ينقلها للآخرين ،هي القيمة التي تميزه عن باقي الأنشطة اللغوية والأدبية الأخرى.

أما عن التقنيات التي لابد من توفرها أثناء ممارسة نشاط التعبير الشفهي، ولإنجاحه لدى مختلف الممارسين له، وخصوصا المتعاملين به معا كمقياس يحقق هدفه المنشود فيما بين الدارسين تحديدا. فإن أساسها الذي لابد وأن ترتكز عليه هو المعلم وكفاءته، وتحكمه في مقياس التعبير الشفهي باعتماده اللغة الفصحى، واحترام ميول الطالب في اختياره الموضوع الذي يريد التحدث عنه، وأيضا حسن الإصغاء وقدرة فهم المقصود من وراء نوايا المتحدث مشافهة، إضافة إلى اعتماد العديد من الوسائل التعليمية كالمكتبات والمناهج والمعايير الموضوعية، لتقويمه كنشاط شفهي مميز عن باقي الأنشطة اللغوية الأخرى.

الهوامش:

1) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 43.

2) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج3 . 5، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003م، ص 529- 530.

3) ابراهيم عبد العليم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ط7، دار المعارف، مصر، 1973م، ص 151- 152.

4) مجاور محمد صلاح الدين علي، تدريس اللغة العربية بمرحلة الابتدائية، ط3، دار القلم، الكويت، 1397هـ/ 1977م، ص233.

5) معروف نايف، خصائص اللغة العربية وطرائق تدريسها، ط1، دار النفائس، 1980م، ص197.

6) يونس فتحي علي، وآخرون، أساسيات تعلم اللغة العربية والتربية الدينية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1981م، ص80.

7) عمر الأسعد،و فاطمة السعدي، اللغة العربية بين المنهج والتطبيق، دط، دار العطاء، عمان، 1409هـ/ 1989م، ص200.

8) زقوت محمد شحادة، المرشد في تدريس اللغة العربية، ط2، مكتبة الأمل، غزة فلسطين، 1999م، ص195. 196.

9) احمد وليد جابر، تدريس اللغة العربية، ط1، دار الفكر، عمان، 1423هـ/ 2002م، ص233.

10) ينظر: سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير،ط1، دار المشرق، رام الله، فلسطين، 2004م، ص88.

11) ينظر: علي جواد الطاهر، تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، 1968م، ص49.

12) ينظر: يونس فتحي علي، ومحمود كامل ناقة، أساسيات تعليم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1988م، ص 144.

13) ينظر: عبد المنعم حسن، واقع تدريس التعبير في المدارس الثانوية في البصرة، مجلة المعلم الجديدة، ع2.1، بغداد، العراق، 1984م، ص53.

14) ينظر: مجاور محمد صالح الدين، تدريس اللغة العربية مرحلة الابتدائية، ص236-237. وينظر: جمال مصطفى العيسوي وزملاؤه، طرق تدريس اللغة العربية بمرحلة التعلم الأساسي، ط1،الكتاب الجامعي، العين، الامارات، 1426هـ/ 2005، ص 134- 136.

15) ينظر: زقوت محمد شحادة، المرشد في تدريس اللغة العربية، ص208.

16) ينظر: مجاور محمد صلاح علي، تدريس اللغة العربية بمرحلة الابتدائية، ص 310-311. وسعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير، ص95. وجمال مصطفى العيسوى وزملاؤه، طرق تدريس اللغة العربية بمرحلة التعليم الابتدائي، ص149- 150.

17) ينظر: زكريا إسماعيل، طرق تدريس اللغة العربية، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991م، ص188. 189. . خليل عبد الفتاح حماد، وخليل نصار، فن التعبير الوظيفي، ط1، مطبعة منصورة، غزة، فلسطين، 1423هـ/ 2003م، ص18.